حقيقة ، او وهم ان فلان اعترف ، كافية لدفع الاخر ليحذو حذوه . وهذا عادة اسلوب لا ينجح الا في حالات نادرة ، حيث يحصل لدى العديد من المناضلين موقف عكسي تماما فحينما يميل احد المناضلين الى تصديق رجل المخابرات بأن غيره قد اعترف ، تنشأ لديه ردة فعل قوية بأن يصمد ويحاول انقاذ ما يمكن انقاذه ، ويتخذ من ابطال معروفين نموذجا ورمزا له .

وعليه فان اعداد الاعضاء ، اعدادا كافيا ، وتفسير حالات الاعترافات التي تمت في الماضي تفسيرا علميا لهم (بدلا من التبرير السخيف القائل بأنهم اعترفوا لان التحقيق قاس ، وكأن هناك تحقيقا غير قاس) وتقديم النماذج الصلبة كأدلة امامهم سوف يمكنهم من نبذ هذا الوهم الزائف ويحررهم من احابيل التحقيق والوقوع في براثنها الخطيرة .

أن المحقق الذي يلجأ لايهام المعتقل بأن الاعتراف آت لا محالة ، وان الصمود مستحيل ، والذي يباشر في تعبئة من هذا النوع مستندا الى بعض الوقائع ، يسعى لايهام المعتقل نفسه بأنه سيعترف اولا واخيرا ويضعه امام سؤال صغير وبسيط ولكنه على غاية من الاهمية (أأعترف ، أم لا) . هذه الحالة التي يسعى المحقق جاهدا وبكل اساليب التعذيب والتضليل لخلقها على انها درجة من زحزحة المناضل عن موقفه الاول (لن اعترف مهما كان الثمن ومهما كانت التضحية) ، هذه الحالة يستغلها المحقق عندما يدرك انها اخذت تجول في نفس المناضل ليعززها لاطول فترة ممكنة باقوال وافعال وتعذيب واغراءات وخيالات وغير ذلك الى أن يعترف المناضل او يدرك المحقق انه حسم الموقف مرة ثانية (لن اعترف) . وهذه الحالة شبيهة بحالة خلق التعاون المباشر انطلاقا من اسئلة واجوبة ونقاشات غير مباشرة ، وبعيدة عن جوهر التهم التي يجري التحقيق حولها .

أن التعاون مع المحققين يبدأ من اتفه الاشياء

(سواء تطور هذا التعاون أو انقطع) هذه الاشياء التي قد لا يكون لها اية صلة مباشرة بالمعلومات التي لدى المناضل ، ومن ثم يبدأ رجل التحقيق في تعزيز هذا التعاون وتطويره ، وتحويله خطوة فخطوة عبر اساليب من الخداع والتعذيب الى تعاون ذو علاقة مباشرة بالمعلومات والاخبار والمعارف التي لدى المناضل . وهكذا فان أي شكل من اشكال التعاون مع المحقق يعتبر خطوة لا بد من الخلاص منها لافشال اساليب التحقيق وتوصيله الى احدى قناعتين : أما ان المناضل هذا بريء تماما ، أو انه لن يتكلم ابدا) وفي هذا نهاية التحقيق بانتصار المناضل انتصارا حاسما يحطم معنوية رجل التحقيق ويشككه في قدراته ، أو يشغل نفسه بالتحقيق مع آخرين أو يشغل نفسه باشياء اخرى .

ان نظرة مقارنة بسيطة يجريها المناضل بين أن يكون منهارا ومتعاونا مع رجال التحقيق وبين ان يكون صلبا وصامدا ويصنع من نفسه بطلا خلال تجربة قاسية، ان نظرة كهذه تكفي لان تعزز صموده ، وتجعله اكثر عنادا من كل رجال المخابرات ، وبالتالي سيد الموقف .

ويجدر بنا ان نلاحظ أن جل اهتمام رجال التحقيق عبر الاساليب المختلفة تنصب على هدف خلق جو التعاون، والاخذ والعطاء ، ودرجة من الانسجام في المواقف مهما كانت طفيفة وفي اي مجال كان ، كمقدمة لابد منها ، وانه دون ان ينجح في هذا الهدف لا يمكنه ان يحصل على بغيته ، وهذا ما يحدد منطلقه الاساسي لاستخدام اي من الاساليب التي بين يديه واي منهما يستخدمه بعد أو قبل أو مع ، وكم من الوقت سيستمر في استخدام هذا الاسلوب أو ذاك . وبالمقابل فجل اهتمام المناضل السياسي ، ان تنتهي فترة التحقيق مهما طالت ، ومهما كانت قسوتها دون ان يتعاون بأي شيء مع رجل التحقيق، ودون أن يقدم له اية معلومات ، غير متلفتا لما يحدث بجسده من آثار التعذيب والتشويه التي غالبا ما تزول في